

ردوهم و دفع إيهام
منافاة انحصار الأسانيد القرآنية
في الإمام ابن الجزري
لشرط تواتر القرآن

إعداد

فؤاد محمد خطاب

مقدم للندوة الدولية للإمام ابن الجزري

والمجمع على عقدها بمدينة

بورصة بتركيا - حرسها الله.

خلال الفترة ما بين

٣١ / ١٠ - ٥ / ١١ / ٢٠١٨ م

روا الوهم وروفع اللبها عن منافاة

انحصار الاسانيد القرآنية

في اللبها ابن الجزري، لشرط قواعد

القرآنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرف أمة الإسلام بكتابه، وخصَّها بحفظه وإسناده، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه»، وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فقد ورد سؤال في المؤتمر الدولي الثاني للقراءات باستانبول ٢٠١٧م، أثناء مناقشة لإحدى الورقات العلمية، مفاده:

الآينا في انحصار الأسانيد القرآنية المعاصرة في الإمام ابن الجزري- شرط تواتر القرآن؟

وقد أجب أكثر من فاضلٍ من الحضور، ولكن بما لا يشفي الغليل، ولا يرفع الوهم الذي وقع فيه السائل؛ فأجبت حينها إجابة دفعت الشبهة، وطمأنت السائل، ورضيها الحضور، ثم رأيت أن أشبع هذا الأمر بحثاً، رافعا للوهم، ودافعا لهذه الشبهة، التي قد تنقح في نفوس بعض طلبة القراءات فضلا عن غيرهم، خاصة وأن السائل كان من المشتغلين بعلوم القرآن والقراءات.

وقد جعلت هذا البحث في عناصر، على ما يلي:

الأول: بيان معنى تواتر القرآن.

ثانيا: التواتر وتاريخه، وأنه واقع قبل ابن الجزري.

ثالثا: أسباب انحصار غالب الأسانيد القرآنية المعاصرة في الإمام ابن الجزري.

رابعا: بيان بعض الطرق الموصلة إلى القراءات من غير طريق ابن الجزري.

وكتبه: فؤاد محمد خطاب

الخامس: الخاتمة.

Fouad.khattab.aljabiri@gmail.com

سائلا الله سبحانه والتوفيق والسداد.

بيان معنى تواتر القرآن

المتواتر: في اللغة اسم فاعل من تواتر، يتواتر وهو التتابع تقول: تواتر الخيل، إذا جاء يتبع بعضها بعضاً.^(١)

فهو في اللغة الأشياء المتعاقبة واحد بعد واحد بمهلة، مأخوذ من قوله تعالى "ثم أرسلنا رسلنا تترأ" [سورة المؤمنون:] أي رسولا بعد رسول بفترة بينهما فكذا التواتر في المخبرين المراد به مجيئهم على غير الاتصال.^(٢)

وفي الاصطلاح: خبر جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب من حيث كثرتهم عن محسوس.^(٣)

وعرفه الرازي بقوله: "خبر أقوام بلغوا في الكثرة إلى حيث حصل العلم بقولهم"، ولا شك أن حصول العلم طريقه الكثرة التي يحيل العقل معها الكذب.^(٤)

فهو ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، ومثاله ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة.^(٥)

وقال ابن الجزري: "ونعني بالتواتر ما وراه جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم من غير تعيين عدد؛ هذا هو الصحيح".^(٦)

(١) ينظر: القاموس المحيط (ص٦٣١)، ولسان العرب لابن منظور (٢٧٥/٥).

(٢) ينظر: المحصول للرازي، ت: طه العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٧م، (٤/٢٢٧)، البحر المحيط للزركشي في الأصول، دار الكتبي، ط١، ١٩٩٤م، (٦/٩٤).

(٣) ينظر: البحر المحيط للزركشي في الأصول (٦/٩٤).

(٤) ينظر: المحصول للرازي (٤/٢٢٧).

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/٤٣٠).

(٦) ينظر: منجد المقرئين (ص١٨).

تواتر القراءات العشر التي بين أيدينا قبل ابن الجزري

القراءات التي بيت اتصلت بها أسانيدنا من طرق الشاطبية والدرة والطيبة هي قراءات متواترة بين ابن الجزري نفسه هذا الأمر، ودل عليه في منجد المقرئين فقال: "والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلى زماننا، فقراءة أحدهم كقراءة الباقين في كونها مقطوعا بها كما سيجيء وقول من قال: إن القراءات المتواترة لا حد لها، إن أراد في زماننا فغير صحيح؛ لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله".^(١)

وقال صاحب الموافقات: "وقد استمر أهل القراءات على أن يعملوا بالروايات التي صحت عندهم مما وافق المصحف، وأنهم في ذلك قارئون للقرآن من غير شك ولا إشكال".^(٢)

وقال ابن أبي الرضا الحموي: "حكى البغوي الإجماع على تواتر العشرة، وذكر عن أبي بكر بن عياش، وهو من رواة عاصم، ووافقه أبو الحسن السبكي، وغيره، وعليه جمهور القراء".^(٣)

وقال الزرقاني في مناهل العرفان: "والتحقيق الذي يؤيده الدليل هو أن القراءات العشر كلها متواترة وهو رأي المحققين من الأصوليين والقراء كابن السبكي

(١) ينظر: منجد المقرئين (ص ١٨).

(٢) ينظر: الموافقات لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ت: دراز، ط: دار المعرفة (٨٣/٢).

(٣) ينظر: القواعد والإشارات في أصول القراءات (٣٠/١).

وابن الجزري والنويري بل هو رأي أبي شامة في نقل آخر صححه الناقلون عنه وجوزوا أن يكون الرأي الأنف مدسوسا عليه أو قاله أول أمره ثم رجع عنه بعد".^(١)

وقد عقد ابن الجزري ابن الجزري في منجد المقرئين أبوابا عدة لإثبات تواتر القرآن من لدن قرئ بها، فقال: "الباب الثالث: في أن العشرة لا زالت مشهورة من لدن قرئ بها، وإلى اليوم لم ينكرها أحد من السلف ولا من الخلف، هذا شيء لا يشك فيه أحد العلماء، وما زال المقرئون أحد رجلين: إما مقرئ بما زاد على السبعة بل والعشرة، وإما مقرئ بالسبعة فقط غير منكر على من أقرأ بالعشرة أو الثلاثة الزائدة عليها وهي قراءة الحسن البصري وابن محيصة المكي وسليمان الأعمش وقرأنا بذلك عن شيوخنا، وقرأوا كذلك على شيوخهم...، وأما العشر فأجمع الناس على تلقيها بالقبول لا ينازع في ذلك إلا جاهل".^(٢)

ثم إن ابن الجزري في الباب الرابع من كتابه منجد المقرئين سرد مشاهير من قرأ بالقراءات العشرة، وأقرأ بها في الأمصار طبقة طبقة إلى وقتنا، فقال: "اعلم أن المقرئين بها كثيرون لا يحصون استوعبتهم في كتاب "طبقات القراء" لكن أذكر هنا من أقرأ بقراءة الثلاثة الذين هم أبو جعفر ويعقوب وخلف أو بواحد منهم من المشاهير دون غيرهم على حسب طبقاتهم خلفا عن سلف ليعلم أنها وصلت إلينا متواترة..."^(٣)

(١) ينظر: مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ٣ (٤٤١/١).

(٢) ينظر: منجد المقرئين (ص ٢٥).

(٣) ينظر: منجد المقرئين (ص ٢٩).

وقال ابن الجزري: "القراءات الثلاث متواترة تلقاها جماعة من جماعة مستحيل تواطؤهم على الكذب، وإذا كانت كذلك فليس تواترها ولا تواتر السبع مقتصرًا عند أهلها فقط بل هي متواترة عند كل مسلم سواء قرأ القرآن أو لم يقرأه لأن ذلك معلوم من الدين بالضرورة لأنها أبعاض القرآن، ولو أدخل شخص بعض القراءات العشر إلى بلدة لم تكن عند أهلها ليس لهم أن يقولوا له: إذا كان عدلاً لا نأخذها إلا متواترة من جماعة كما أنه إذا أسلم شخص وأخبره عدل بآية أو بشيء من القرآن ليس له أن يقول: لا أو من بأن هذا من القرآن حتى ينتقل إلي نقلًا متواترًا بل يجب عليه أن يعتقد أنه من القرآن ولا بد فقد يكون ببلد ليس فيها من يحفظ القرآن إلا الرجل أو الرجلين وسيأتي ما يحقق ذلك من أقوال العلماء في الباب الآتي إن شاء الله تعالى.^(١)

(١) ينظر: منجد المقرئين (ص٦٤).

اشتراط التواتر في قبول القراءات القرآنية

لعلماء القراءات ضابط مشهور يزنون به الروايات الواردة في القراءات وهو أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف^(١).

قال مكي بن أبي طالب في الإبانة:

«ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف، فهو من الأحرف السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفاً، متفرقين أو مجتمعين، فهذا هو الأصل، الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف، فاعرفه، وابن عليه»^(٢).

وقال ابن الجزري: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة، التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها»^(٣).

(١) ينظر: النشر للإمام ابن الجزري، ت: الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (٩/١)، مناهل العرفان، (٤١٨/١).

(٢) ينظر: الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب، ت: عبد الفتاح إسماعيل شلي، ط: دار نهضة مصر للطبع والنشر (ص٩٠-٩١).

(٣) ينظر: النشر للإمام ابن الجزري، ت: الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (ص١٥).

فاشترط القراء لقبول القراءة أن يتوفر فيها ثلاث شروط^(١):
الأول: موافقة اللغة العربية.

الثاني: موافقة الرسم.

الثالث: صحة السند.

وقد نظمها ابن الجزري في طيبة النشر فقال:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجَهَ نَحْوٍ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ اِحْتِمَالًا يَجْوِي

وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ

وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتْ ... شُدُودَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ

والمقصود بصحة السند: "أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى ينتهي، من غير شذوذ ولا علة قاذحة"^(٢).

ولم يكتفِ علماء القراءات بهذه الشروط الثلاثة بل ضموا إليه أموراً أخرى لا بد منها لقبول القراءة، وقد اختلفوا في هذه الضميمة على ثلاث آراء:
الأول: اشتراط تواتر الحرف القرآني مع صحة السند، وهو رأي الجمهور.^(٣)

(١) ينظر: الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب، ت: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط: دار

نهضة مصر (ص٩٠-٩١)، النشر (ص١٥).

(٢) ينظر: النشر (١٩/١)، مناهل العرفان للزرقاني (٤٢٢/١).

(٣) ينظر: روضة الناظر لابن قدامة (١٩٩/١)، البحر المحيط للزركشي (٢٠٩/٢)، الإتيقان في علوم القرآن

(٢٥٨/١).

الثاني: اسفاضة الحرف القرآني مع صحة السند، وينسب إلى مكي ابن أبي طالب وقد دل عليه قوله في الإبانة: " أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ ... ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.^(١)

الثالث: رأي ابن الجزري الأخير الذي استقر عليه في النشر وهو أن صحة السند، مقيدة بشروط ثلاثة:

١- أن تكون القراءة مشهورة عند علماء القراءات، ويعبر عن هذا بالاستفاضة.

٢- ألا تكون معدودة عند أهل القراءات من الخطأ.

٣- ألا تكون مما شذ به بعض القراء عن جمهور المقرئين^(٢).

وعلى القول الأخير لابن الجزري إذا تحقق في الحرف القرآني هذه الشروط ألحق بالقراءة المتواترة، وأعطي حكمها، وقطع بكونه من الأحرف السبعة، وأما القراءات المتواترة فهي قرآن لا تحتاج لهذه الشروط، فهي مقطوع بقرآنيها.

وقد كان ابن الجزري ينجح إلى القول باشتراط التواتر في قبول الحرف القرآني، ثم عدل عنه إلى الشهرة مع الشرطين بعده، فقال في النشر: "وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف فيه بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وإن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، وهذا ما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا، سواء وافق الرسم أم خالفه وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف

(١) ينظر: الإبانة عن معاني القراءات، (ص٥١-٥٢).

(٢) ينظر: منجد المقرئين (ص١٦)، النشر (١/١٣).

من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم وقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف".^(١)

قال في مناهل العرفان: "إنما اكتفى القراء في ضابط القراءة المشهورة بصحة الإسناد مع الركنين الآخرين ولم يشترطوا التواتر؛ مع أنه لا بد منه في تحقق القرآنية لأسباب ثلاثة:-

أحدها: أن هذا ضابط لا تعريف والتواتر قد لوحظ في تعريف القرآن على أنه شرط أو شرط على الأقل، ولم يلحظ في الضابط لأنه يغتفر في الضوابط ما لا يغتفر في التعاريف، فالضوابط ليست لبيان الماهية والحقيقة.

ثانيها: التيسير على الطالب في تمييز القراءات المقبولة من غيرها فإنه سهل عليه بمجرد رعايته لهذا الضابط أن يميز القراءات المقبولة من غير المقبولة، أما إذا اشترط التواتر فإنه يصعب عليه ذلك التمييز لأنه يضطر في تحصيله إلى أن يصل إلى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الرواية، وهيئات أن يتيسر له ذلك.

ثالثها: أن هذه الأركان الثلاثة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءات المقبولة، بيان هذه المساواة أن ما بين دفتي المصحف متواتر ومجمع عليه من الأمة في أفضل عهودها وهو عهد الصحابة فإذا صح سند القراءة ووافقت قواعد اللغة ثم جاءت موافقة لخط هذا المصحف المتواتر كانت هذه الموافقة قرينة على إفادة هذه الرواية للعلم القاطع وإن كانت آحادا، ولا تنس ما هو

(١) ينظر: النشر (١٣/١).

مقرر في علم الأثر من أن خبر الأحاد يفيد العلم إذا احتفت به قرينة توجب ذلك".^(١)

والخلاف بينهم في اشتراط التواتر أو الاستفاضة خلاف صوري قال د. إبراهيم الدوسري في المنهاج في الحكم على القراءات: "وقد استبان بعد النظر في أقوالهم أن الخلاف صوري، فمن نظر إلى أسانيد القراء من جهة نظرية على ما هو مذكور في أسانيد مصنفاتهم وجد كثيرا من أوجه الاختلاف تشتمل على أسانيد آحادية أو مشهورة، ومن نظر إليها من جهة الوقوع عدها متواترة وأجاب بأن انحصار الأسانيد - ولو كانت آحادية - في طائفة معينة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم إذ مع كل واحد منهم في طبقته ما يبلغها حد التواتر، لأن القرآن قد تلقاه من أهل كل بلد الجم الغفير طبقة بعد طبقة وجيلًا بعد جيل، ولو انفرد أحد بوجه دون أهل تلك البلد لم يوافقه على ذلك أحد.

وحيث إن القراءات العشر المقروء بها في هذا العصر على هذا النحو فإنها هي المتواترة، وما عداها فهو الشاذ، إذ انقطاع الإسناد من جهة المشافهة لأي وجه من القراء مسقط له، ولو تواتر الإسناد نظريا في الكتب، وذلك أن في القراءات وجوها لا تحكمها إلا المشافهة، بله إذا صح إسناده ولم يتصل مشافهة.

والتواتر المذكور يختص بأوجه القراءات بصفة عامة، وليس كل ما كان من قبيل الأداء متواتر، بل منه الصحيح المستفاض المتلقى بالقبول، كمقادير المد الزائدة على القدر المشترك بين أهل الأداء، غير أنه ملحق بالمتواترة حكما لأنه من القرآن المقطوع به، قال ابن الجزري: "ونحن ما ندعي التواتر في كل فرد مما انفرد به

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (٤٢٧/١).

بعض الرواة أو اختص ببعض الطرق ، لا يدعي ذلك إلا جاهل لا يعرف ما التواتر؟
وإنما المقروء به عن القراء العشرة على قسمين : متواتر ، وصحيح مستفاض متلقى
بالقبول، والقطع حاصل بهم".^(١)

وقال أيضا: "فإنه إذا ثبت أن شيئا من القراءات من قبيل الأداء لم يكن
متواترا عن النبي ﷺ، كتقسيم وقف حمزة وهشام وأنواع تسهيله ، فإنه وإن تواتر
تخفيف الهمز في الوقف عن النبي ﷺ فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجها
ولا بعشرين وجها، ولا بنحو ذلك، وإنما إن صح شيء منها فوجهه، والباقي لاشك أنه
من قبيل الأداء"^(٢)، ولعل هذا النوع من الأوجه المختلف فيها بين القراء هو الذي
جعل بعض العلماء لا يشترط التواتر". أهـ

(١) ينظر: منجد المقرئين (ص ٢١).

(٢) ينظر: منجد المقرئين (ص ٧٥).

تاريخ تواتر القرآن ووقوع التواتر قبل ابن الجزري

القرآن تواتر منذ لحظة نزوله، فقد كان النبي ﷺ يجمع الصحابة ﷺ والكتابة منهم فيكتب ما نزل بين يديهم، فيشهدوه، فما بين دفتي المصحف متواتر ومجمع عليه من الأمة في أفضل عهودها وهو عهد الصحابة ﷺ، ولما توفي النبي ﷺ وقام بالأمر بعده أحق الناس به أبو بكر الصديق ﷺ، وقاتل الصحابة ﷺ أهل الردة وأصحاب مسيلمة، وقتل من الصحابة نحو الخمسمائة، أشير على أبي بكر بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة، فتوقف في ذلك من حيث إن النبي ﷺ لم يأمر في ذلك بشيء، ثم اجتمع رأيه ورأي الصحابة ﷺ على ذلك، فأمر زيد بن ثابت ﷺ بتتبع القرآن وجمعه، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر ﷺ حتى توفي، ثم عند عمر ﷺ حتى توفي، ثم عند حفصة رضي الله عنها.

ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان ﷺ حضر حذيفة بن اليمان ﷺ فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك، فأفزع ذلك وقدم على عثمان وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم، فكتب منها عدة مصاحف، فوجه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين، وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه توسعة عليهم

ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي ﷺ، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط، وكان من جملة الأحرف التي شار إليها النبي ﷺ بقوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرصة الأخيرة عن رسول الله ﷺ كما صرح به غير واحد من أئمة السلف: كمحمد بن سيرين وعبيدة السلماني وعامر الشعبي، قال علي بن أبي طالب ﷺ لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل.

وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله ﷺ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ.

فمن كان (بالمدينة) ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء ابنا يسار ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وابن شهاب الزهري ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم، (وبمكة) عبيد بن عمير وعطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن أبي مليكة، (وبالكوفة) علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وعبيد بن نضيلة وأبو زرعة بن عمرو بن جرير وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والشعبي.

(وبالبصرة) عامر بن عبد قيس وأبو العالية وأبو رجاء ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ومعاذ وجابر بن زيد والحسن وابن سيرين وقتادة، (وبالشام) المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة، وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء. ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نسبت

إليهم، (فكان بالمدينة) أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبه بن نصح، ثم نافع بن أبي نعيم، (وكان بمكة) عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصن، (وكان بالكوفة) يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش، ثم حمزة، ثم الكسائي، (وكان بالبصرة) عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي، (وكان بالشام) عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلبي وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، فقام جهاذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصلوها، وأركان فصلوها^(١).

وقد دونت كتب القراءات، وعرف المقبول والمردود، واتصلت أسانيد العلماء من كل حدب وصوب بهذا المصنفات فمنهم من قرأ بمضمَّنِّها، أو بما وافقها أو بما اشتملت عليه من الأحرف، أو أُجيز بها، وأصبح الإسناد لمجرد الاتصال وإثبات التلقي، لا لإثبات قرآنية الحرف القرآني.

(١) ينظر: النشر (١/٧-٩).

انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع من التواتر

هناك أسباب دعت إلى أخذ القراءة عن القراء المشهورين دون غيرهم فقبل التدوين لما كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية التي وجه بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار الشام واليمن والبصرة والكوفة ومكة والبحرين وحبس بالمدينة واحدا وأمسك لنفسه واحدا الذي يقال له الإمام فصار أهل البدع والأهواء يقرءون بما لا يحل تلاوته وفاقا لبدعتهم، فأجمع رأي المسلمين أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختراروا من كل مصر وجه إليها مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدراية وكمال العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم.

ثم إن القراء الموصوفين بما ذكر بعد ذلك تفرقوا في البلاد وخلفهم أمم بعد أمم، فكثر الاختلاف وعسر الضبط، فوضع الأئمة لذلك ميزانا يرجع إليه وهو السند والرسم والعربية، فكل ما صح سنده ووافق وجهها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعا عليه أو مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، ووافق خط مصحف من المصاحف المذكورة فهو من السبعة الأحرف المنصوصة في الحديث، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة في قراءة وجب قبولها، سواء كانت عن السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.^(١)

(١) إتحاف فضلاء البشر، للشهاب أحمد البنا الدمياطي، ت: أنس مهرة، ط ٣، ٢٠٠٦م، دار الكتب، (ص ٨).

ثم دونت كتب القراءات، وعرف المقبول والمردود، واتصلت أسانيد العلماء من كل حذب وصوب بهذا المصنفات فمنهم من قرأ بمضمَّنْها، أو بما وافقها أو بما اشتملت عليه من الأحرف، أو أُجيز بها، وأصبح الإسناد لمجرد الاتصال وإثبات التلقي، لا لإثبات قرآنية الحرف القرآني.

فالقراءات القرآنية قراءات أمصار -أي: بلاد-، وإنما تُنسب لقارئ معين من باب تصدُّره لتعليمها وبراعته في ذلك، فعلى سبيل المثال القراءة المنسوبة للإمام ابن عامر هي قراءة أهل الشام كلهم، فلو دخلت أي مسجد في ذلك الزمان لقرأ إمام ذلك المسجد هذه القراءة لا يختلف عن غيره من أئمة المساجد بالشام كله، فلو افترضنا أن بالشام في ذلك الوقت ألف مسجد لا تتفق أئمته على قراءة واحدة، ولو خالف أحدهم في ذلك لرده الناس، وهذا مشاهد في زماننا فلو قرأ قارئ ببعض أحرف رواية ورش في بلاد الحجاز في زماننا لصحح له بعض الأطفال ممن يصلون خلفه، وإنما نُسبت هذه القراءة لابن عامر لتصدُّره لتعليمها وحرص المسلمين على تعلمها عليه، ولذلك تنسب هذه القراءات للأمصار، فيقال قراءة أهل مكة وقراءة أهل المدينة وهكذا، وهي ثابتة بنقل المئات عن المئات حتى دُوِّنت في الكتب ونقلها علماء المسلمين الثقات فكيف لا تكون متواترة.^(١)

وانحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم فقد كان يتلقاه أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجم الغفير عن مثلهم وكذلك دائماً فالتواتر حاصل لهم

(١) من مقال للدكتور: محمد هشام راغب في الرد على بعض الشبهات حول القرآن الكريم أتحننا به شيخنا المقرئ: إيهاب فكري، بمجموعته العلمية فوائده في علم القراءات.

ولكن الأئمة الذين قصدوا ضبط الحروف وحفظوا عن شيوخهم منها جاء السند من جهتهم وهذا كالأخبار الواردة في حجة الوداع هي آحاد.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنها متواترة عن الأئمة السبعة، وأن تواترها من القاريء إلى النبي ﷺ فيه نظر، إذ إسناد الأئمة السبعة لهذه القراءات موجودة في كتبهم، وهي نقل الواحد عن الواحد، فلم تستكمل شروط التواتر ومن هؤلاء الإمام أبو شامة إذ قال: "وغاية ما يبديه مدعي تواتر المشهور منها كإدغام أبي عمرو ونقل الحركة لورش وصلة ميم الجمع وهاء الكناية لابن كثير أنه متواتر عن ذلك الإمام الذي نسبت تلك القراءة إليه بعد أن يجهد نفسه في استواء الطرفين والواسطة إلا أنه بقي عليه التواتر من ذلك الإمام إلى النبي ﷺ في كل فرد فرد من ذلك وهناك تسكب العبرات فإنها من ثم لم تنقل إلا آحادا إلا اليسير منها".^(١)

وقد يجاب عن هذا على تقدير التسليم أن الأمة تلتقتها بالقبول، واختاروها لمصحف الجماعة، وقطعوا بأنها قرآن، وأن ما عداها ممنوع القراءة به.^(٢)

والشبهة دخلت على أبي شامة وعلى غيره بسبب انحصار أسانيد القراءات في رجال معروفين، فظنوها كأخبار الآحاد، وقد أوضح الإمام كمال الدين ابن الزملاكي خطأ ذلك فقال: "انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم فقد كان يتلقاه أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجم الغفير عن مثلهم

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي، ت: طيار قولاج، دار صادر، ط ١٩٧٥م، (ص ١٧٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢/ ٢١٠).

وكذلك دائماً فالتواتر حاصل لهم ولكن الأئمة الذين قصدوا ضبط الحروف وحفظوا عن شيوخهم منها جاء السند من جهتهم وهذا كالأخبار الواردة في حجة الوداع هي آحاد، ولم تزل حجة الوداع منقولة لمن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في عصره، فهذه كذلك وهذا ينبغي التفتن له".^(١)

فنسبة القراءة إلى الإمام هي نسبة اصطلاحية وقد أوقف الإمام ابن الجزري شيخه شمس الدين الخطيب على الكلام أبي شامة فقال: "أوقفت عليه شيخنا الإمام واحد زمانه شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب ببيروت الشافعي فقال لي: معذور أبو شامة حيث أن القراءات كالحديث مخرجها كمخرجه إذا كان مدارها على واحد كانت آحادية وخفي عليه أنها نسبت إلى ذلك الإمام اصطلاحاً، وإلا فكل أهل بلدة كانوا يقرأونها أخذوها أما عن أمم ولو انفرد واحد بقراءة دون أهل بلده لم يوافقه على ذلك أحد بل كانوا يجتنونها ويأمرون باجتنابها".^(٢)

قال الصفاقسي في غيث النفع: "ولا يقدر في ثبوت التواتر اختلاف القراءة فقد تتواتر القراءة عند قوم دون قوم فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ولذا لم يعب أحد منهم على غيره قراءته لثبوت شرط صحتها عنده وإن كان هو لم يقرأ بها لفقد الشرط عنده".^(٣)

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢/٢١٢).

(٢) ينظر: منجد المقرئين (ص٦٧)، مناهل العرفان (١/٤٤٥).

(٣) ينظر: غيث النفع غيث النفع في القراءات السبع، أبو الحسن النوري الصفاقسي، ت: أحمد الحفيان، ط١: دار الكتب العلمية ببيروت، ٢٠٠٤م (ص١٦).

أسباب انحصار غالب الأسانيد القرآنية في الإمام ابن الجزري

اجتمع للإمام ابن الجزري ما لم يجتمع لغيره من مقرئي عصره، من مقومات جعلته محط أنظار العلماء وطلبة القراءات، وبسببها اقتصر من تلقى منه على أسانيدِهِ، وفيما بيان لهذه المقومات التي تسببت في ذلك.

أولها- علو الأسانيد وتسلسلها بشيوخ الإقراء المشهورين.

فقد اجتمع لابن الجزري ما لم يجتمع لغيره من علماء القراءات في عصره من كثرة الشيوخ في قراءات، مع تنوع أسانيدهم وتباعد أقطارهم وأمصارهم، وقد ذكر ابن الجزري شيوخه في كتابيه غاية النهاية وجامع الأسانيد فبلغ بهم نيفا وأربعين شيخاً في القراءات.^(١)

وفيما يلي ذكر لأشهر شيوخ الإقراء الذين أخذ عنهم:

١- أبو بكر بن أيدغدي بن عبد الله الشمسي الشهير بابن الجندي ويسمى عبد الله (ت ٧٦٩هـ)، قال عنه ابن الجزري: "شيخ مشايخ القراء بمصر أستاذ كامل ناقل ثقة مؤلف"، قرأ عليه الإمام ابن الجزري كتاب البستان سوى قراءة الحسن إلى قوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" [سورة النحل: ٩٠].^(٢)

٢- أحمد بن الحسين بن سليمان أبو العباس الكفري الحنفي (ت ٧٧٦هـ)، قاضي القضاة بدمشق، قرأ عليه الإمام ابن الجزري جميع القرآن جمعاً بالقراءات السبع، قال فيه ابن الجزري وكان من أجل من قرأت عليه.^(٣)

(١) ينظر: جامع أسانيد ابن الجزري (ص ٤٠).

(٢) ينظر: غاية النهاية (١/١٨٠).

(٣) ينظر: غاية النهاية (١/٤٩).

٣- محمد بن أحمد بن علي بن الحسن أبو المعالي بن اللبان، (ت ٧٧٦هـ)، قرأ عليه ابن الجزري ختمات بمضمن كتب عديدة، ولي مشيخة الأقرء بالدار الأشرفية وبجامع التوبة والجامع الأموي، ثم مشيخة مشايخ الإقرء بتربة أم الصالح بدمشق؛ لأن من شرطها أن يكون شيخها أعلم أهل البلد بالقراءات، قال فيه ابن الجزري: "لم يكن في زمانه أحسن استحضارا منه للقراءات".^(١)

٤- محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن شمس الدين ابن الصائغ الحنفي (ت ٧٧٦هـ)، فقرأ عليه ختمة جمعاً بالقراءات السبع بمضمن الشاطبية والتيسير والعنوان سنة ٧٦٩هـ، ثم رحل الإمام ثانية سنة ٧٧١هـ، فقرأ عليه جمعاً للسبعة وللعشرة بمضمن عدة كتب، قال ابن الجزري: "فلما أن ختمت عليه الختمة الثانية وكتب لي الإجازة بخطه، سألته أن يذهب إلى شيخنا جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي شيخ الشافعية فذهب إليه وهو بالمدرسة الناصرية من القاهرة فأشهبه، وما كان شيخنا الإسنوي يعلم أي أقرأ القراءات فقال له: والقراءات أيضا فقال: وغيرها من العلوم ثم قال بحضوري: يا سيدي، ادع الله أن يطيل عمره فقال: ما رأينا شخصا ذكيا مثل هذا الشاب يكون عمره طويلا فرفعا أيديهما وأنا أنظر ودعيا لي بطول العمر وقد استجاب الله تعالى منهما والله الحمد، فلا أعلم أحدا اليوم هو على وجه الأرض يروي عنهما غيري فرحمهما الله تعالى".^(٢)

٥- عبد الرحمن بن أحمد بن علي أبو محمد ابن البغدادي الواسطي ثم المصري مولدا وإقامة (ت ٧٨١هـ)، انتهت إليه مشيخة الإقرء بالديار المصرية، قال عنه ابن الجزري: "شيخنا الإمام العالم العلامة"، قرأ عليه الإمام ابن الجزري جمعاً بالقراءات ختمتين الأولى بمضمن الشاطبية والتيسير والعنوان في شهر سنة

(١) ينظر: غاية النهاية (١٨٠/١)، وجامع أسانيد ابن الجزري (ص ٩٩).

(٢) ينظر: غاية النهاية (١٦٣/٢).

٧٦٩هـ، ثم رحل إليه ثانية ٧٧١هـ فقرأ عليه الختمة الثانية بمضمن كتب شتى بالقراءات الثلاث عشرة.^(١)

٦- عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن يبرم ابن السلار (ت ٧٨٢هـ)، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالشام، قال عنه ابن الجزري: "إمام مقرئ محقق كامل عارف صالح"، وهو أول شيخ للإمام ابن الجزري انتفع به ولازمه وصحح عليه الشاطبية درسا وعرضاً، وتلا عليه ختمة بقراءة أبي عمرو فأجازه وهو مرهق دون البلوغ بكثير، وقرأ عليه ختمة بقراءة حمزة ثم قصد الجمع عليه فمنعته سوء الوسائط، ثم قرأ عليه لنافع وابن كثير جمعاً إلى أواخر سورة الرعد قال ابن الجزري: "ثم رأيت الأمر يطول فانقطعت عنه."^(٢)

٧- عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد القروي الإسكندري (ت ٧٨٨هـ)، مقرئ صالح مسند ثقة من أعيان الإسكندرية في وقته، قرأ عليه الإمام ابن الجزري بمضمن الأعلان بثغر الإسكندرية وكذلك الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي وجزءاً مخرجا في حديثه خرجه الذهبي.^(٣) وغير هؤلاء كثر، المذكورون في جامع أسانيد ابن الجزري، وغاية النهاية، والنشر عدتهم فوق الأربعين شيخاً كلهم علماء متصدرون من ذوي الإتقان والإسناد العالي.

(١) ينظر: غاية النهاية (١٦٣ / ٢).

(٢) ينظر: غاية النهاية (٤٨٣ / ١)، وجامع أسانيد ابن الجزري (ص ٧١).

(٣) ينظر: غاية النهاية (٤٨٢ / ١)، وجامع أسانيد ابن الجزري (ص ١٧٣).

ثانياً: كون الآخذين عنه أكثر وهم شيوخ إقراء في بلاد شتى:
وفيما يلي ذكر لأشهر شيوخ الإقراء الذين أخذوا عنه:

١- مؤمن بن علي بن محمد بن أجمعين الرومي الفلكاباذي الخطيب (ت ٧٩٩هـ)، شيخ الروم وخطيبها، قال عنه ابن الجزري: "فاضل محقق صيِّت من أهل الدين والخير، قدم دمشق وقرأ على القراءات بمضمن الشاطبية واليسير ومنظومتي في الثلاثة وقصيدة التذكار في رواية أبان العطار سنة ٧٨٣هـ، وحقق وحصل ورجع إلى الروم فأقام في باياس لوق".^(١)

٢- محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، أبو الفتح (ت ٨١٤هـ)، حفظ القرآن وله ثمان سنين وقرأ على والده الإمام ابن الجزري القراءات العشر جمعا، كما قرأ على جماعة من مقرئي عصره كأبي الفتح محمد العسقلاني قرأ عليه القراءات الاثنتي عشرة بمضمن عدة كتب، وأجيز بالإفتاء، توفي في حياة والده.^(٢)

٣- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، أبو العباس الأشعري العبدي (ت ٨٤١هـ) شيخ القراءات في زبيد باليمن ، لما دخل الإمام ابن الجزري اليمن لازمه كثيرا وسمع منه تحبير التيسير والطيبة و التقريب ونحو نصف النشر وغير ذلك، واستجاز منه القراءات العشر فأجازه، وتركه الإمام مغادراً اليمن سنة ثمان وعشرين وثمانمائة.^(٣)

٤- رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة، العقبي الشافعي المقرئ المستملي (ت ٨٥٢هـ)، حفظ القرآن وكتاب التنبيه وجود بعض القرآن على إسماعيل

(١) ينظر: غاية النهاية (٢/ ٣٢٤).

(٢) ينظر: غاية النهاية (٢/ ٢٥٢).

(٣) ينظر: غاية النهاية (١/ ١٠٣).

الأنبابي وتلا بالسبع إفراداً إلا نافعاً فلم يكملها على النور أبي الحسن علي
الدميري المالكي سبع ختمات ثم بالسبع وقراءة يعقوب على الشمس الغماري
وأجاز له بالثمان المذكورة على ركن الدين الأشعري، وقرأ على الإمام ابن الجزري
الفاحة إلى قوله تعالى: "وأولئك هم المفلحون" [سورة البقرة: ٥٠] بالعشر داخل
الكعبة وأذن له الإمام في التدريس.^(١)

٥- طاهر بن محمد بن علي بن محمد، أبو الحسن النويري القاهري الأزهري المالكي
(ت ٨٥٦هـ)، حفظ القرآن وتلا به إفراداً وجمعا على أبي عبد الله الحريري
الشرابي والنور الحبيبي وجمعا للقراءات العشر إلى أول النساء على الإمام ابن
الجزري، وسمع عليه أشياء تصدى لنشر العلم، وصار من العلماء المعدودين
المتفنين العارفين بالفقه وأصوله والعربية والقراءات وغيرها مع صلاح ودين،
ولي مشيخة الإقرار بجامع طولون بالقاهرة وبالجمالية، والفقه بالمدرسة
الحسينية.^(٢)

٦- أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أيوب، أبو العباس القلقيلي الشهاب
السكندري (ت ٨٥٧هـ)، تلا بالسبع على الشمس العسقلاني وعليه سمع
الشاطبية، وقرأ بالسبع على الإمام ابن الجزري، وبالأربعة عشر على الفخر
البلبيسي إمام الأزهر وسمع عليه التيسير، والعلاء ابن الفالح وأذن له بالإقراء،
وسمع على الصلاح البلبيسي العنوان في القراءات، وبعضه بقراءته على
السويداوي التيسير للداني، تصدى للإقراء فانتفع به خلق.^(٣)

(١) ينظر: النجوم الزاهرة (٥٢٨/١٥)، الضوء اللامع للسخاوي (٢٢٦/٣).

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة (١٨/١٦)، الضوء اللامع (٦-٥/٤).

(٣) ينظر: الضوء اللامع (٢٦٣/١-٢٦٤).

٧- إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي، أبو الخير الحسني الطباطبي الشافعي المقرئ نزيل الحرمين (ت ٨٦٣هـ)، أخذ القراءات عن الشيخ محمد الكيلاني بالمدينة، والشهاب الشوابطي بمكة، ومن قبلها عن الزين ابن عياش، وفي سنة ٨٢٨هـ عن ابن سلامة، وعن الإمام ابن الجزري، تصدى للإقراء بالحرمين، حتى توفي بمكة. (١)

٨- عبد الدائم بن علي زين الدين أبو محمد الحديدي ثم القاهري الأزهري الشافعي (ت ٨٧٠هـ)، حفظ القرآن وكتبها منها المنهاج، وتلا بالسبع على الشمس الزراتيقي، والشهاب السكندري وحبیب العجمي، وبعضه بالعشر على الإمام ابن الجزري، وكتب على المقدمة الجزرية شرحاً. (٢)

٩- أحمد بن أسد بن عبد الواحد، أبو العباس الأميوطي ابن أسد (ت ٨٧٢هـ) حفظ القرآن عند الشمس النحريري السعودي، والعمدة والشاطبتين، والدمائة في القراءات الثلاثة للجعبري، والطيبة لابن الجزري وسافر مع الإمام ابن الجزري في سنة سبع وعشرين إلى مكة، وكان يقرأ عليه حتى أكمل يوم الصعود بالمسجد الحرام، وأذن له، وأخذ عن ولده الشهاب شرحه لطيبة والده، وأخذ القراءات عن الشهاب ابن الهائم قرأ عليه للسبع مع الشاطبية والعنوان والرائية، وانتفع به كثيراً، وتلا للسبع على الشهاب أحمد بن علي بن موسى الضرير وغيرهم، ودرس وأفتى، وانتفع به الفضلاء ولاسيما في القراءات. (٣)

(١) ينظر: الضوء اللامع (١٤/١ - ١٥)، شذرات الذهب (٣٠٢/٧).

(٢) ينظر: الضوء اللامع (٤٢/٤).

(٣) ينظر: الضوء اللامع (٢٢٧/١ - ٢٣١)، شذرات الذهب (٣١٤/٧).

١٠- عبد الغني بن يوسف بن أحمد بن مرتضى الزين الهيثمي القاهري الشافعي (ت ٨٨٦هـ)، حفظ القرآن، وتلا به على ابن الزراتيقي وهو أول شيخ تلا عليه السبع، ثم على الإمام ابن الجزري للعشر على آخر البقرة.^(١)

١١- أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، أبو بكر وختم القرآن سنة (٧٩٠هـ) وصلّى به سنة إحدى، وحفظ الشاطبية والرائية وقصيدتي والده في العشر، وقرأ على ابن العسقلاني قطعة من أول القرآن وسمع عليه جميع القرآن بالقراءات الأثني عشر وسمع الشاطبية والعنوان وأجازه، قرأ على والده الإمام النشر والتقريب والطيبة وسمعها غير مرة، وحفظ كتباً وأقرأ، ولما كان بمصر سنة (٨٠٨هـ) شرح طيبة النشر فأحسن فيه.^(٢)

١٢- سلمى بنت محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، أم الخير، حفظت القرآن سنة (٨١٣هـ) وحفظت مقدمة التجويد وعرضتها على أبيها الإمام، ومقدمة النحو ثم حفظت طيبة النشر وحفظت القرآن وعرضته عليه حفظاً بالقراءات العشر وأكملته في (٨٣٢هـ)، وقرأت بنفسها الحديث وسمعت من أبيها الإمام الشيء الكثير بحيث صار لها فيه أهلية وافرة.^(٣)

١٣- طاهر بن عرب بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسين الأصبهاني، ولد (٧٨٦هـ) أجل تلامذة ابن الجزري وأتقنهم للقراءات، شهد له ابن الجزري بأنه في هذا العلم المبارك لا يداني ولا يشارك، وقرره الإمام ابن الجزري أن يجلس مكانه بدار القرآن بشيراز وأن يكون خليفته بها قائماً مقامه غاب أو حضر، ترجمته سلمى بنت الإمام ابن الجزري في غاية النهاية فقالت في حقه: "الإمام الفاضل

(١) ينظر: الضوء اللامع (٤/٢٥٨).

(٢) ينظر: غاية النهاية (١/١٢٩)، الشقائق النعمانية (ص ٢٧).

(٣) ينظر غاية النهاية (١/٣١٠) الشقائق النعمانية (ص ٢٨).

العالم المحقق المدقق المجود المرتل المقرئ الكامل المجيد المفيد أستاذ القراء وصفوة العلماء نخبة المحققين عمدة المقرئين فخر الدين، حفظ القرآن، ثم أخذ القراءات عن الشيخ الإمام ابن الجزري وقرأ عليه ختمات كاملات، فجمع القراءات العشر حسب ما تضمنه كتاب النشر ومختصره التقريب ومنظومة الأرجوزة المسماة طيبة النشر، كما جمع بين روايتي قتيبة ونصير بمضمن غاية أبي العلاء ومبهب سبط الخياط ومصباح الشهرزوري وكامل الهذلي وكفاية أبي العز القلانسي، وقرأ على الإمام رواية العمري عن أبي جعفر بمضمن الغاية والكامل والمصباح، وختم عليه بقراءة الإمام أبي عبد الله محمد بن محيىصن المكي بمضمن المبهب، وبقراءة الإمام الأعمش بمضمن المبهب وما وافق ذلك من كتاب الجامع والروضة، وكان ملازماً للإمام سفيراً وحضراً في الحج وغيره^(١).

١٤- عبد الله بن قطب بن الحسن الخراساني البيهقي قال فيه الإمام ابن الجزري: "إمام صالح مقرئ كامل بارع ناقل"، قرأ على محمد بن محمد بن ميمون بدمشق ثم على الإمام ابن الجزري العشر، وعلى أبي العباس أحمد بن ربيعة ثم أدرك أبا الفتح القلانسي، فقرأ عليه وتصدر بالقدس يُقرئ بالحرم، قرأ عليه محمد بن أحمد بن الهائم، ثم تجرد وأقبل على الله وانقطع بدمشق.^(٢)

١٥- محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، أبو الخير، حفظ القرآن صغيراً وأمَّ به وحفظ المقدمة والجوهرة وأكمل على أبيه جميع القراءات العشر

(١) ينظر: غاية النهاية (١/٣٣٩)

(٢) ينظر: غاية النهاية (١/٤٤٢).

ولحق به إلى مدينة كاش أيام الأمير تمر في أوائل سنة سبع وثمانمائة ثم كان بصحبة والده في مدينة شيراز. (١)

وغير هؤلاء كثر، ممن قرءوا على الإمام ابن الجزري وكلهم علماء متصدرين في بلاد شتى، مما ساهم في انتشار أسانيد الإمام ابن الجزري.

ثالثا: كثرة مؤلفات الإمام ابن الجزري في علم القراءات مع الإتقان والتحري، وعلو الضبط.

فهي مؤلفات محررة وجد فيها المقرئون ضالتهم المنشودة فكتاب النشر على سبيل المثال كتاب محرر جامع لكتب القراءات قد انتقى فيه ابن الجزري طرق الروايات وحررها، وترجم رجال هذا الكتاب واحدا واحدا في كتابه غاية النهاية، فأضحى بذلك فيه الكفاية يغني عن كتب القراءات، ولا يغني عنه واحد منها، فكان بذلك كصحيح البخاري في الحديث بالنسبة لأهل القراءات.

يقول ابن الجزري في كتابه النشر بعد أن ساق الطرق الفرعية الأولى عن أصحاب الروايات:

"وجمعتهما في كتاب يرجع إليه، وسفر يعتمد عليه، لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفا إلا ذكرته، ولا خلفا إلا أثبته، ولا إشكالا إلا بينته وأوضحته، ولا بعيدا إلا قربته، ولا مفرقا إلا جمعته ورتبته، منبها على ما صح عنهم وشذ وما انفرد به منفرد وفذ، ملتزما للتحري والتصحیح والتضعيف والترجيح معتبرا للمتابعات والشواهد، رافعا إبهام التركيب بالعزو المحقق إلى كل واحد جمع طرقا بين الشرق والغرب". (٢)

(١) ينظر: غاية النهاية (٢٥٢/٢).

(٢) ينظر: النشر (٥٦/١).

وبين منهجه في انتقاء الأسانيد وأنه التزم في كتابه النشر الآتي:

- علو الإسناد.
- اتصال الإسناد بالتلاوة الكاملة.
- تحقق العدالة والضبط في القارئ.
- ثبوت اللقيا وصحة المعاصرة.

مما جعل مؤلفاته مطمح لأن يُقرأ بمضمونها، وقد قال في النشر لبيان ذلك: "وجملة ما تحرر عنهم من الطرق بالتقريب نحو ألف طريق وهي أصح ما يوجد اليوم في الدنيا وأعلاه لم نذكر فيها إلا من ثبت عندنا، أو عند من تقدمنا من أئمتنا عدالته، وتحقق لقيه لمن أخذ عنه وصحت معاصرته، وهذا التزام لم يقع لغيرنا ممن ألف في هذا العلم."^(١)

ومن مؤلفاته غير النشر، تقريب النشر، وتحرير التيسير، ومنظومتي الطيبة والدرة المضية، ونظم غاية المهرة في الزيادة على العشرة، والمقدمة فيما على قارئه أن يعلمه، وغاية النهاية، وغير ذلك في القراءات وفي علوم شتى.^(٢)

رابعا: اقتصار تلامذته، ومن بعدهم على الإقراء بمضمن كتب ابن الجزري:

دفعهم إلى هذه كونها محررة وجامعة وعالية الإسناد، مسلسلة بشيوخ الإقراء، ومعلوم أن من قرأ بمضمون كتاب فإنما يسوق إسناد صاحبه، ولذا اقتصروا على الإقراء بمضمن كتبه، دون غيره.

خامسا: جلوسه للإقراء في أول حياته، وفي عدة أماكن ومدارس:

فقد جلس الإمام ابن الجزري للإقراء القرآن الكريم بالجامع الأموي بدمشق بعد أن أذن له شيوخه بذلك وكان التصدير تحت قبة النسر وتولاها سنين، كما قام

(١) ينظر: النشر (١/١٩٢).

(٢) ينظر: غاية النهاية (٢/٢٥١)، هداية العارفين (٢/١٨٧).

بإنشاء مشيخة دار القرآن الجزرية بدرب الحجر بدمشق^(١)، وتولى كذلك مشيخة دار الحديث الأشرفية^(٢)، والتدريس بالمدرسة الآتابكية^(٣)، والخطابة في جامع التوبة^(٤)، كما ابتنى دارا للقرآن حين استقر بشيراز للإقراء وتوفي ودفن فيها.^(٥)

سادسا: كثرة رحلاته العلمية، وتجوّاله في البلاد الإسلامية:

فقد **قصد حج بيت الله الحرام سنة ٧٦٨هـ**، وفيها قرأ على خطيب المدينة المنورة وإمامها الشيخ محمد أبي عبد الله الخطيب، فقرأ عليه بمضمن كتاب الكافي وكتاب التيسير^(٦)، ثم **رحل إلى الديار المصرية مرات عديدة طلبا للعلم**، ولقيا العلماء أولها سنة ٧٦٩هـ^(٧)، وكان **آخرها سنة ٧٩٨هـ**، **خرج فيها** من مصر متوجها إلى بلاد الروم^(٨) إلى **أنطاكية ومنها إلى بورصة** وهناك شرع في كتابة النشر والطيبة وحفظها جماعة، وقرأ بها عليه خلق^(٩)، وكان قد **مكث بها سبع سنوات**، أفاد فيها، واستفاد به أهلها، ثم **بعدها انتقل إلى مدينة كَش جنوب سمرقند بأوزبكستان** الحالية سنة ٨٠٥هـ، وذلك بطلب من تيمورلنك بعد كسره لبازيزيد بن عثمان^(١٠)، ثم **خرج** من كَش بعد وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ؛ **إلى هراة** وهناك احتفى به سلطانها وبها أقرأ القراءات، وأسمع الحديث، وبها كتب جامع الأسانيد^(١١) لتلميذه الإمام العلامة المقرئ:

(١) الدارس في تاريخ المدارس للنعمي (٨/١).

(٢) المصدر السابق (١٥/١).

(٣) المصدر السابق (٩٦/١).

(٤) المصدر السابق (٣٢٨/٢).

(٥) ينظر: غاية النهاية (٢٤٨/٢-٢٥١)، الضوء اللامع (٢٥٦/٩).

(٦) ينظر: جامع أسانيد ابن الجزري (ص ٣٦)، غاية النهاية (٢٤٧/٢).

(٧) ينظر: غاية النهاية (٢٤٧/٢).

(٨) ينظر: جامع أسانيد ابن الجزري (ص ٥١)، إنباء الغمر لابن حجر (٥١٠/١).

(٩) ينظر: جامع أسانيد ابن الجزري (ص ٥٧).

(١٠) ينظر: جامع أسانيد ابن الجزري (ص ٥٩)، غاية النهاية (٢٤٩/٢).

(١١) ينظر: جامع أسانيد ابن الجزري (ص ٦٥).

محمد بن افتخار الدين محمد النوري الهروي صهره، ثم وصل راجعا إلى مدينة يزد، فقرأ عليه للعشرة جماعة، ثم دخل أصبهان فقرأ عليه بها جماعة أيضا ولم يكملوا، ثم وصل إلى شيراز في رمضان سنة ٨٠٨هـ فأمسكه بها سلطانها بير محمد ابن صاحبها أمير عمر شيخ ابن أمير تمر، فقرأ عليه بها جماعة كثيرون للعشرة، ثم بعد مدة، خرج منها متوجها إلى البصرة ومنها إلى قرية عنيزة من نجد وتوجها منها فعدى عليه الأعراب فرجع إلى عنيزة فنظم بها الدرة في قراءات الثلاثة ثم جاور بالمدينة وبمكة في سنة ٨٢٣هـ، بعد أخذ الأعراب له ورجوعه إلى عنيزة وفي إقامته بالمدينة قرأ عليه شيخ الحرم الطواشي، وقد توفي رحمه الله بشيراز سنة ٨٣٣هـ، ودفن بدار القرآن التي أنشأها وكانت جنازته مشهورة بتبادر الأشراف والخواص والعوام إلى حملها وتقبييلها ومسها تبركا بها، ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرك بمن تبرك بها، وقد اندرس بموته كثير من مهام الإسلام.^(١)

(١) ينظر: غاية النهاية (٢/٢٥١).

شيوخ الإقراء المعاصرين لابن الجزري في البلاد الإسلامية

عاصر ابن الجزري علماء كثر في بلاد شتى، كان كل واحد منهم قائم بقطره، وعليه الاعتماد في القراءة والإقراء، وإليه تنتهي أسانيد القراءات، فلم يكن وحده قائم بالأمر، ولا في عصره انحصرت الأسانيد فيه، بل إن تلامذته كانوا مقرئين متصدرين لهم طرقهم وأسانيدهم كالنويري، والعقبي، والأميوطي، والقلقيلي، وغيرهم، رغبهم في القراءة عليه علو إسناده، وضبطه وإتقانه وشهرته بالفن، وقد ذكر ابن الجزري في كتابه منجد المقرئين، وكذا جامع الأسانيد جملة من شيوخ الإقراء في عصره من أقطار شتى، قال في منجد المقرئين:

"شيخنا أبو المعالي محمد بن أحمد اللبان بدمشق، وعمر الصوفي الضرير الواسطي بدمشق، وعلي بن أحمد الدوري ببلاد الشام، وشيخنا الحسن بن محمد النابلسي بمصر، والفخر عثمان الضرير بمصر، وأحمد بن إبراهيم الطحان بدمشق، وعيسى الضرير بمصر، والشيخ خليل بن المسيب بمصر، ونصر بن محمد المقري بدمشق أخبرني أنه قرأ بالعرش على العازب وهو يقرئ بها، والنور علي بن الحكري بمصر، ويعقوب المقرئ بمصر، وأحمد بن سعيد القيسي شيخ خانقاه شيخون بمصر وهو ممن شهد في إجازتي من الشيخ أبي بكر الجندي، ومحمد النشوي بمصر، وعمر بن بلبان الخفاف العقبي بدمشق، وأحمد بن مسعود بن الحاج البلنسي بتونس، ومحمد بن غالب الأنصاري الأندلسي بها، ومحمد بن أحمد بن صفوان الأندلسي بمكة، ومحمد بن أحمد القباقي بالإسكندرية، والشيخ فخر الدين عثمان الضرير إمام الجامع الأزهر بمصر، ومؤلف هذا الكتاب محمد بن محمد بن محمد بن الجزري بدمشق أثناه الله تعالى وخلّاتق من الشيوخ في أقطار الأمصار لم يصلنا خبرهم أحياء يرزقون ختم الله تعالى لنا ولهم بخير آمين. وكثير من الطلبة بمصر والشام منتشرون لا سيما في دمشق اليوم فإنها عش القرآن ومركز التحقيق

والإتقان، وأكبر من تصدى في هذا الزمان لإقراء العشر والأخذ بها شيخ الشام من غير مدافعة الإمام أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان المذكور في صدر الطبقة قصده الناس من الأقطار وقرأ عليه بها خلق كثير جزاه الله تعالى خيرا وجعل ذلك منه ومنا خالصا لوجهه الكريم".^(١)

كما ذكر ابن الجزري في جامع الأسانيد جملة من شيوخ الإقراء في عصره ممن عاصروهم ولم يأخذ عنهم بلغ بهم اثنين وعشرين شيخا سوى خمسة من أقرانه.^(٢)

فقد قال في نهاية كتابه جامع الأسانيد بعد ترجمة كريم الدين الكارزوني: "وبه ختمت من اجتمعت به من علماء هذا الشأن، سوى أصحابنا الذين قرءوا على شيوخنا، مثل الشيخ المقرئ: عمر بن بلبان المقدسي، والشيخ المقرئ: شهاب الدين البانياسي، والشيخ المقرئ المحقق: أحمد بن ربيعة بن علوان المكنَّب، والشيخ: زين الدين عمر بن شيخنا ابن اللبان، والشيخ: محمد بن مسلم ابن الخراط، وخلق سواهم بمصر والشام وغيرهما".

فلم ينفرد ابن الجزري بالإسناد في عصره ولا توقفت عنده القراءات، ولا كان انحصار غالب الأسانيد المعاصرة في إسناده ينافي تواترها لأن تواترها قد وقع من قبل ابن الجزري، وتلقته الأمة جيل بعد جيل بالقبول.

(١) ينظر: منجد المقرئين (ص ٦١).

(٢) ينظر: جامع أسانيد ابن الجزري (ص ١٧٩).

وصل الأسانيد القرآنية من غير طريق ابن الجزري

ابتداءً ترجع أهمية السند القرآني قديما في عصر التدوين والاختيار للقراءات إلى كونه السبب الرئيس لقبول القراءة، وأما بعد هذا العصر وقد استقرت القراءات فُعرف المقبول منها والمردود، وألفت فيه المؤلفات، دونت الدواوين، ولم تعد الأسانيد لإثبات قراءة، ولا رواية، ولم نعد نُقَرأ إلا من طريق الشاطبية والدرة والطيبة، وما يعرف عند أهل المغرب من الطرق النفعية- كما هو الواقع في عصرنا؛ فقد أصبح السند القرآني ترجع أهميته لعدة أمور:

- ١- إثبات التلقي والمشاهدة الموصولان إلى صحة الأداءات والكيفيات القرآنية وكونها منقولة نقلا متصلا لا خطأ فيها ولا خلط.
- ٢- الحفاظ على خصيصة هذه الأمة والتي هي اتصال السند.
- ٣- التبرك بالتسلك في سلك المقرئين.
- ٤- وأيضا لإظهار المدعين والكاذبين، والمدلسين والمتشبعين زورا، فهذه طبيعة الأسانيد وفائدتها في هذا العصر.

قال ابن الصلاح: "اعلم أن الرواية بالأسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا وكثير من الأعصار قبله إثبات ما يُروى ... وإنما المقصود بها إبقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة زادها الله كرامة"^(١)

ونحن في هذا العصر يمكننا أن نصل أسانيد كتب القراءات التي استقى منها ابن الجزري كتابه النشر- نستطيع أن نصل بها من مئات الطرق، وعشرات الأثبات والمشیخات، مما نبلغ به حد التواتر، فهذا مع طرق ابن الجزري إضافة إلى تلقي الأمة للقراءات التي بين أيدينا بالقبول وأجماعها عليها، كاف في نفي هذا التوهم، ولا تجتمع

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، (١٣/١).

الأمة على ضلالة فعن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة...»^(١).

كما يمكن من عدة طرق استخراج أسانيد لجميع أصول النشر لا يمر واحد منها بابن الجزري، وذلك علي سبيل المثال من طريق شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، إذ به تمر غالب أسانيد أهل العصر، كما يمكن أيضا استخراج ذلك عن طريق القباقبي، وكذا عن طريق جعفر بن إبراهيم السنهوري، ومن طرق ابن غازي من أهل المغرب العربي، وغيرهم.

ومثال ذلك ما ذكره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في ثبته قال:

"قرأت القرآن جميعه على جماعة كثيرين منهم الزين أبو النعيم المستملي الحافظ المقرئ، قال: أخذته عن جماعة منهم الشمس أبو الفتح محمد بن أحمد العسقلاني، أنه قرأ علي التقي محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، وهو علي: الكمال إبراهيم بن إسماعيل ابن فارس التميمي، وهو علي: أبي اليمن الكندي، وهو علي: عبد الله بن علي البغدادي، وهو علي: الشريف أبي الفضل عبد القاهر العباسي، وهو علي: أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد، وهو علي: أبي الحسن علي بن محمد بن صالح الهاشمي، وهو علي أبي العباس أحمد بن سهل الأشناني، وهو علي: أبي محمد عبید بن الصباح النهشلي، وهو علي: حفص بن سليمان الكوفي، وهو علي: أبي بكر عاصم بن أبي النجود، وهو علي: عبد الله بن حبيب السلمي، وهو علي: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو علي: رسول الله ﷺ، وقرأه كما أنزل علي: الروح الأمين رسول رب العالمين، وأمينه علي وحيه جبريل عليه أفضل الصلاة والتسليم."^(٢)

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم (٣٩٥٠)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٣).

(٢) ينظر: ثبت شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ط: دار البشائر (ص١١٦-١١٨).

الخاتمة

تبيين لنا بعد هذا العرض، ما يلي:

- ١- أن التواتر قد وقع من لدن نزول القرآن، وأن القرآن بقراءته قد تواتر طبقة بعد طبقة.
- ٢- أن التواتر قد وقع قبل ابن الجزري، وأن انحصار الأسانيد أو غالبها في فرد أو أفراد لا ينافي التواتر، خاصة وأن الأمة قد تلقت القرآن وقراءته بالقبول.
- ٣- أن سبب انحصار غالب الأسانيد القرآنية في ابن الجزري، هو ضبطه وإتقانه، وعلوم إسناده، ومؤلفاته المحررة التي اقتصر الناس على الإقراء بمضمونها، هذا إلى كثرة تلامذته لكثرة ترحاله.
- ٤- أنه في عصر ابن الجزري كانت شيوخ الإقراء متوافرون قرأوا بما قرأ به ابن الجزري، وشاركوه، بل وتفردوا عنه بأشياء.
- ٥- أن الإسناد في عصرنا بل وفي عصر ابن الجزري ليس لإثبات قراءة أو حرف قرآني، وإنما لأمر أخرى.
- ٦- أن هناك بلاد لم يطأها ابن الجزري، ولا عرف عنها شيئاً كبلاد ما وراء النهر، وبلاد المغرب، وهو نفسه لم يستبعد وقوع القراءات المتواترة بها مما لم يقف هو عليه وغيره.
- ٧- أنه يمكن أن نصل أسانيدنا من غير الإمام ابن الجزري، من طرق مشرقية وأخرى مغربية.

والحمد لله رب العالمين